مَع اليـاء من اسـم العَلم "العَـاصي"

د. ابراهيم السامرائي

لقد قرأت البحث الموسوم بـ«الياء من اسم العلم العاصي» للاستاذ صبحي البصام في العدد (٣٤) من مجلة المجمع، قراءة مستفيد. فسرني استيفاؤه المسألة، وإصلاحه لما درج عليه الكاتبون والمعربون من حذف الياء من «العاصي» اختصاراً، وهو غلط.

ان الفوائد الكثيرة التي بسطها الاستاذ البصام مفيدة كل الافادة. أصاب فيها الغرض، ولي أن أقول: «قطعت جهيزة قول كل خطيب».

وكنت قد وقفت على قول العلاّمة أحمد زكي باشا ـ رحمه الله تعالى ـ منذ أكثر من ثلاثين سنة في «كتاب التاج في أخلاق الملوك» المنسوب الى الجاحظ على «حاشيته» في الصفحة (١٩٦) وأدرجتها في جملة «أوهام الخواص».

ان قول المحقق: «. . . ان «العاص» من «العَـوَص» قول غريب. وغرابته أن يصدر من عالم جليل عُرف بالضبط والاتقان. ولو أنه قال: ان «العيص» و«أبـا العيص» من «العـوص» لكـان ذلـك وجهاً، فأما ان يكون «العـاص» (كـذا) من «العـوص» فمـردود اشتقاقاً، ألا ترى انك تقول من «العوص» «عائص» كما تقول من «القول» قائل. وان «العاصي» من «عَصى يعصي» فهو منقوص، وحذف ياء المنقوص معروفة في الرفع والجر فأمّا اذا كان محلّى بالالف واللام فالياء تثبت فيه «العاصي». ان هذا شيء عرفناه ونحن صبية شداة.

والذي أشار إليه المحقق في حاشيته التي أحالت على «لسان العرب» لم يرد في «عوص»، بل ان «العاصي» في مادة «عصي» كما أشار الاستاذ البصام، والكلام فيها على «عصاة قريش».

ولم أقف، وأنا في صنعاء، على «كتاب الاشتقاق» لابن دريد لأتبين ما ورد فيه، وكان العلاّمة الجليل قد أشار اليه في «حاشيته». وما أظن أن ابن دريد قد ذهب الى ان «العاص» من «العوص». مع ما قيل في ابن دريد وفي معـرفته بالتصريف والاشتقاق. قال ابن جني: «وأما كتاب «الجمهرة» ففيه أيضاً من اضطراب وفساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر..»[1].

ولا أدري أذهب المحقق العلامة في وهمه فحسب ان «العاصي» الذي حذفت ياؤه من «العوص» هذه المادة الموجزة في المعجم التي تفيد ضد الإمكان واليسر، ومنها الكلام العويص.. وقد اعتاص وأعوص في المنطق، والكلمة العوصاء.. وابن هذا من «عصاة قريش» الذين أشار اليها صاحب «اللسان».

لقد ذهبت في ظني الى أشياء عدة، وما أحسب أني كنت مصيباً في الظن. لقد رأيت أن في العربية يتحول بعض الأجوف الى الناقص، وهذا في كلمات معدودة وليس مطّرداً.

ومن ذلـك ما ورد في ترجمـة (هور) في «لسان العرب»: وفي حديث خزيمة: تركتُ المُخّ راراً والمطيّ هاراً.

و«الهار» هو الساقط الضعيف، ويقال: هو هارٌ وهارٍ وهائر، فأما «هائر» فهو الأصل (لأنه من الاجوف هار يهور)، وأما «هارٌ» فعلى حذف الهمزة، وأما «هارٍ» فعلى نقل الهمزة الى ما بعد الراء، كما قالوا:

شائك السلاح وشاكِ السلاح.

أقول: وعندي ان الأصل في «شائك السلاح» و«شاكِ السلاح» هذا هو الأصل المضاعف ان «شكّه» السلاح: ما يلبس منه.

وقـد تحـولت «الشكّـة» المضـاعفة الى الاجوف «شائك» والمنقوص «شاكي». وكما لم يشع اسم الفاعل من «آنَ يئين»، وذهبوا الى اسم الفاعل من «أنَى يأني» وهو مقلوب عن الأصل، فقالوا «آنٍ» منقوصاً، ولم يقولوا: «آئن» لمكان الثقل.

قال ابو زيد: هو شاكٍ في السلاح، وشائك، وإنما يقال: شاكٍ اذا اردت

«فاعل»، فاذا أردتَ معنى «فَعِلٍ» قلت: هو شاكٌ للرجل. وقال الفراء: رجل شاكي السلاح، وشاكُ السلاح برفع الكاف مثل هارٍ وهارٌ، قال مرحب اليهودي حين بارز عليّاً:

قد علمت خَيبَرُ أنّي مرَحَبُ شاك السلاح بَطَلٌ مجرَّبُ

وقالوا: رجل مالٌ ونالٌ، من المال والنوال، وانما هو: مائل ونائل في الأصل. وفي العربية من هذا شيء يعد من الغريب المفيد الذي يبرز سعة العربية وشجاعتها. ومنه ما كان في ترجمة «رادُ يرود» واسم الفاعل «الرائد».

ومنه حديث الحجاج في صفة الغيث، قال: «وسمعت الرُوّاد يدعون الى ريادتها»، أي تطلّب الناس اليها.

وفي حديث وفد عبد القيس: إنا قوم رادة. مثل حاكة جمع حائك، أي نرود الخير والدين لأهلنا.

وقد جاء من هذا «رادٌ».

وقالوا: انه اما ان يكون «فاعلاً» ذهبت عينه، وإما أن يكون «فَعَلا»، إلا أنه اذا كان «فَعَلاً» فانما هو على النسب لا على الفعل، قال ابو ذؤيب:

فبات يجمع ثم تمَّ الى منىً فاصبح راداً يبتغي المزحَ بالسَّحْل

ورجل «رادٌ» بمعنى «رائد»، وهو «فَعَل» بالتحريك بمعنى «فاعل» كالفرط بمعنى الفارط.

وبعد فهذه نبذة يسيرة هداني إليها بحث أخي الاستاذ البصام فله مني أزكى التحية وأوفى السلام.